# الثقافة ركيزة لتعليم اللغات

## تقديم الثقافة في فصول اللغة العربية للناطقين بغيرها



**سماح يونس الخطيب**

مساعد تدريس في اللغة العربية، مركز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، كلية الآداب والعلوم – جامعة قطر

تقدِّم الثقافة فرصًا عظيمة لتعليم اللغات، وذلك بعرضها ومناقشتها وتحويلها إلى واقع يعرض مواقف حياتية تهم الطالب وتلامس التفاصيل المُعاشة اليومية. فقد قامت الباحثة بتدارس تقديم الثقافة العربية في فصول تعليم العربية بوصفها لغة ثانية، وفق استراتيجيات حديثة ومُحددة، والمرتكزة على المراوحة بين الجانب النظري والجانب العملي. وقد عالج البحث الثقافة وحدودها وأهميتها والهدف من تعليمها وعلاقتها الوثيقة بتعليم اللغة العربية لغة ثانية؛ حيث تنعكس قوة هذه العلاقة في أن الثقافة تُعد عنصرًا نابضًا بالحياة يقرِّب عملية التعلم إلى الاكتساب بسلاسة.

ثم تطرق البحث إلى أحدث استراتيجيات تدريس الثقافة وفصَّل طريقة تطبيقها في الفصول الدراسية. وقد خلُص البحث إلى أهمية تناول الثقافة في فصول تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وضرورة إلمام المعلم بالتقاطعات والاختلافات الثقافية المتعددة لما لها من أثر بالغ في رفع الكفاءة التواصلية والفكرية لدى المتعلم، وضرورة إحاطة المتعلم بالمهارات المختلفة للتعليم والتي تتجاوز حدود اللغة إلى جوانبها الاجتماعية والثقافية.

### ما أهمية الثقافة ولماذا يجب تضمينها في المحتوى اللغوي؟

يمتلك كل شعب منظومته الخاصة في التعبير والتواصل، فنرى أن الناس تتواضع على طرق التعبير والانفعالات اللفظية والجسدية شيئًا فشيئًا إلى أن تصبح سمة عامة ظاهرة في هذا الشعب عن غيره، وهذه المنظومة تصبح مثار اهتمام أو نفور لدى الشعوب الأخرى، تعكس أسلوب حياة وطريقة تفكير ومفاهيم خاصة، لا يمكن لنا كمعلمين تجاهلها أو تركها، لأنها ستشكل الأرضية الأساسية التي ستُبنى عليها اللغة المتعلمة في أثناء رحلة التعلم، والتي ستقدم الكثير لمتعلم اللغة وتختصر عليه مسافات وساعات طوال في التعلم، تكشف له صورة عميقة عن دورة حياة اللغة، لا تتأتى إلّا بمعرفة وفهم هذه الإشارات الثقافية.

وإذا لم يحسن تطويع هذه الإشارات والمفاهيم الثقافية لصالح رفع الكفاءة التواصلية للمتعلم، فإن المتعلم مهما قطع ساعات في تدارس اللغة والتدرب على مهاراتها، فلن يتمكن من استشعار روح النصوص المقروءة والمسموعة والوصول إلى جوهرها الحقيقي، وقد عبَّرت كرامش، إحدى أبرز الباحثات في مجال اللغويات التطبيقية وتعليم اللغات الأجنبية، بدقة عن هذا الأمر بقولها: «الثقافة مصدر محتمل للصراع، فهي في سياق تعلم اللغة ليست مهارة خامسة يمكن الاستغناء عنها في تعليم التحدث والاستماع والقراءة والكتابة، إنها دائمًا في الخلفية منذ اليوم الأول جاهزة لزعزعة متعلمي اللغة الجيدين عندما لا يتوقعون ذلك على الإطلاق، مما يوضح حدود كفاءتهم التواصلية التي اكتسبوها بشق الأنفس، ويتحدى قدرتهم على فهم العالم من حولهم".

تتجلى العلاقة بين الثقافة واللغة في التأثر والتأثير، مما ينعكس على التواصل اللغوي والجسدي والفكري؛ فترفع الثقافة الكفاءة التواصلية وتجعل المتعلم جزءًا حيًا من اللغة التي يتعلمها مُرتبطًا بها، قادرًا على إدراك المفاهيم والمفردات عبر تفكيك رموزها الثقافية.

## كيف تقدَّم الثقافة في فصول تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

تمتاز اللغة العربية بتنوع مشاربها الثقافية وأصالتها والتي يجب أن تشكل ركيزة عند الحديث عن تقديم الأنماط الثقافية في فصول تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. ومن الجدير بالذكر خصوصية الثقافة العربية الإسلامية وما تملكه من خصائص وسمات تستدعي أن تُراعى قبلها مجموعة من الأهداف عند تعليم اللغة العربية كلغة ثانية.

ونظرًا لأهمية تدريس اللغة العربية كلغة ثانية في سياقها الثقافي، وما تعكسه تجربة التعلم برمتها لدى الناطق بغيرها، فإنه لا بد من التفكير في أسلوب تقديم الثقافة للمتعلم بصورة تُحاكي الواقع المجتمعي للشعب العربي وماضيه العريق والحضارات التي تعاقبت على أرضه، والتعدد المعرفي والديني الذي يُثري المجتمع ويقويه. فكان لا بد لهذه الأساليب أن تستثمر السياق الثقافي الاجتماعي في تعليم اللغة لتيسير تعلمها، فيكون جُل التركيز على المواقف التعليمية التي تخدم هذا الهدف.

وتشتمل هذه الأساليب على مواقف مثل الزيارات الميدانية إلى الأسواق والأحياء الشعبية والبيوت وأماكن العمل وزيارة المرضى في بيوتهم أو المستشفى أو دور العجزة. فالبيوت تعكس صورًا حقيقية عن أفكار وقيم أصحابها؛ فنجد بعضهم يدخل البيوت دون خلع الأحذية، ومن البيوت ما يجب أن تخلع على بابه فكلاهما يعكس ثقافة ما تفسَّر وفق جماعتها اللغوية، ولا سيَّما النوع الثاني للحفاظ على طهارة البيت عند الصلاة، وحضور المناسبات فلكل مناسبة ثقافة ترتبط بالملبس والمأكل والعادات منها بيوت العزاء والزواج والأعياد الدينية والوطنية وأسلوب لعب الأدوار فينخرط المتعلم في مهام ثقافية ومنها تقديم التهنئة في حفل الزواج، أو في الأعياد الدينية والمناسبات الشخصية، وتقديم المواساة والتعزية في حالات الوفاة.

وتقديم عروض تقديمية للمتعلمين، وأسلوب الاستقصاء وذلك عبر تكليف المتعلم بالبحث في قضية ما في المجتمع مع مراعاة ما يفرضه هذا المجتمع من محاذير اجتماعية. ومن الأفكار المسبقة الجميلة التي أراها متميزة، اختبار الفروض أي اختبار الأفكار المسبقة، وذلك بأن يطلب من المتعلمين أن يكتبوا تصوّرًا عن الثقافة التي يدرسونها ومنها العلاقات الأسرية العربية. ويقوم كل متعلم بتسجيل ملاحظاته، ومن ثم نطلب منهم استقصاء كل هذه التصوُرات من مصادرها الأصلية عبر الوسائل الموثوقة المتاحة، ومن ثم نطلب منهم أن يقوموا بعقد مقارنات للتصوُرات التي جمعوها عن تلك القضايا.

## ما هي أهم الاستراتيجيات لتقديم الثقافة في فصول تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

**1. استخدام نصوص ومواد أصلية.** ولا بد أن تكون هذه النصوص أو المواد مُستقاة من الحياة اليومية لمجتمع اللغة المتعلمة، كما لو أن المتعلم يعيش بشكلٍ طبيعي فيه ويتعرض للغة بشكلٍ تلقائي.

**2. دعوة الطلاب للنقاش حول الثقافة.** خير الوسائل لهذه الاستراتيجية قد يكون على شكل مقطع مرئي قصير، وأن يطلب منهم تدوين الكلمات المرتبطة بالموضوع وثم الانتقال إلى مناقشة الأفكار المطروحة بالاعتماد على خلفياتهم المعرفية لإنتاج لغة في موقف طبيعي.

**3. ردم الفجوة الثقافية.** أن يقوم المعلم بإجراءات محددة تهدف الحد من سوء الفهم الناجم من المفاهيم والأفكار التي تُصدرّها السلاسل التعليمية والموارد الأخرى التي تُعرض للمتعلم.

**4. المقارنة بين الثقافات.** استثمار مخزون المتعلم الثقافي ومعرفته بالعادات والتقاليد في لغته لخلق نهج مشترك بين الثقافات المختلفة يعزز تعلم اللغة الثانية.

**5. لعب الأدوار.** يضمن لعب الأدوار اقتراب المتعلمين من المواقف الثقافية بشكل كبير، ويتحقق لديهم فهم أعمق للمفاهيم والممارسات الاجتماعية.

وختامًا، لتعزيز هذه العلاقة بين الثقافة واللغة والتي تُعد مطلبًا في حقل تعليم العربية للناطقين بغيرها، كان لزامًا أن يعتني باستراتيجيات نقلها وتقديمها للمتعلم بطريقة أقرب للاكتساب، مما يجعل عملية التعلم تحقق الانغماس اللغوي الثقافي الذي هو غاية مطلوبة في معظم برامج تعلم اللغة الثانية، وبدونها لا يمكن للمتعلم أن يُحقق الكفاءة التواصلية في مجتمع هذه اللغة.